

التماسك المجتمعي لشعوب محور المقاومة

قراءة في حرب الاثني عشر يومًا بين إسرائيل وإيران

بقلم: أ.م. د. مصطفى سوادى جاسم/ باحث في مركز الفيض العلمي
لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية



المقدمة

شهدت منطقة "الشرق الأوسط" في يونيو 2025 تصعيداً عسكرياً غير مسبوق بين إسرائيل وإيران، استمر لمدة اثني عشر يوماً، بسبب الاعتداء غير المبرر وغير القانوني من قبل الكيان تجاه إيران، وألقى بظلاله على الأمن الإقليمي والدولي، وهذه المواجهة، التي شملت هجمات صاروخية، وضربات بطائرات مسيرة، واستهداف متبادل لمنشآت عسكرية واقتصادية، أثارت تساؤلات جدية حول مستقبل المنطقة واستقرارها، وفي هذا السياق، تبرز أهمية دراسة مؤشرات التماسك المجتمعي في دول "محور المقاومة" – العراق، لبنان، اليمن، وفلسطين – بعدها ساحات رئيسة تتأثر بشكل مباشر وغير مباشر بأي تصعيد إقليمي...

تشكل الحرب الإسرائيلية على إيران حدثاً فارقاً في معادلات الصراع في الشرق الأوسط، ليس فقط على المستوى العسكري والسياسي، بل أيضاً على صعيد التماسك المجتمعي في الدول المتحالفة مع إيران، والمعروفة بمحور المقاومة، ومنها: العراق، لبنان، اليمن، وفلسطين، إذ تكشف هذه الأزمة عن عمق الترابط الشعبي والسياسي في هذه الدول، وعن فاعلية الخطاب المقاوم في تحشيد المجتمعات وتوجيه الرأي العام. يهدف هذا المقال إلى تحليل مظاهر التماسك المجتمعي في دول محور المقاومة في مواجهة الحرب، ومناقشة العوامل الثقافية، والدينية، والإعلامية، والاجتماعية التي عززت هذا التماسك، مع الإشارة إلى دلالاته الجيوسياسية في إعادة تشكيل موازين القوة في المنطقة.

أولاً: مفهوم التماسك المجتمعي

يُعرّف التماسك المجتمعي بأنه حالة من الانسجام والتكافل داخل المجتمع، ترتكز إلى القيم المشتركة، والهوية الجمعية، والقدرة على مواجهة الأزمات بطريقة جماعية، وفي السياقات السياسية المتوترة، يُعد التماسك عاملاً حاسماً في ضمان الاستقرار الداخلي والتصدي للتهديدات الخارجية. وفقاً لنظرية رأس المال الاجتماعي (Putnam, 2000)، فإن المجتمعات ذات الروابط الاجتماعية القوية تكون أكثر قدرة على التفاعل الإيجابي ومقاومة الصدمات، وهو ما ينطبق على مجتمعات دول محور المقاومة.

ثانياً: مظاهر التماسك المجتمعي في دول محور المقاومة

لقد كشفت "حرب 12 يوماً" عن جملة من المؤشرات التي تعكس حالة التماسك المجتمعي في دول محور المقاومة:

1. العراق: شهد العراق، رغم تعدديته المذهبية والقومية، تصاعداً في التكاتف الشعبي والسياسي ضد الحرب على إيران، أظهرت النخب الدينية والسياسية، حتى من خارج الإطار الشيعي، مواقف رافضة للعدوان ومؤيدة للحق الإيراني في الدفاع، وهذا كان واضحاً في بيانات ومواقف كثير من النواب العراقيين الذين تصدروا المشهد الإعلامي بتغطيتهم الكبيرة لهذه الحرب مظهرين الدعم والتأييد المجتمعي لإيران في مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية والتي لاقت تفاعلاً واسعاً من قبل المتابعين والذي تصدرهم النائب (مصطفى سند).

في حين نجد من الطائفة السنية الكريمة الشيخ (خالد الملا) الذي صدح بالدعم والتأييد لإيران في حربها ضد إسرائيل، اما على المستوى الديني فكانت بيانات المرجع الأعلى السيد السيستاني واضحة في ادانة الكيان ودعم إيران في هذه الحرب، وكان لموقف السيد مقتدى الصدر بإقامة صلاة الجمعة الموحدة و التظاهرة المليونية المنددة بإسرائيل على مستوى العراق صدا كبيرا في التأييد المجتمعي وإدانة العدوان على إيران، فضلا عن التظاهرات المستمرة لانصار المقاومة العراقية والحشد الشعبي قرب المنطقة الخضراء والسفارة الامريكية، أما على المستوى الشعبي فقد تحولت منصات التواصل الاجتماعي الى جبهات متعددة ضد إسرائيل بما قدمه العراقيون من صور دعم وتأييد ومناصرة قل نظيرها، كما برزت مبادرات تطوعية وإعلامية ومجتمعية لدعم إيران سياسيًا ومعنويًا، مما يدل على نهج الوعي الجمعي تجاه طبيعة الصراع.

2. لبنان: يُعد لبنان أنموذجًا رائدًا في التماسك المجتمعي ضد الحرب، لا سيما في البيئة الحاضنة للمقاومة، حيث تجلت وحدة الصف في الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية، وقد أظهرت مقاطع الفيديوها فرحا قل نظيره بالصواريخ الإيرانية تجاه الكيان، وتمثلت أيضا بالدعم الكبير بمواقع التواصل الاجتماعي وتغطية عوامل الانتصار وفضح زيف الاعلام الإسرائيلي، كما حافظت الطوائف الأخرى، بدرجات متفاوتة، على خطاب يحذر من التصعيد ويؤكد على رفض العدوان الخارجي. كما لعبت وسائل الإعلام التابعة للمقاومة دورًا كبيرًا في حشد الرأي العام.

4. اليمن: رغم الظروف الصعبة، أظهرت جماعة أنصار الله ومحيطها الشعبي خطابًا تضامنيًا قويًا مع إيران، ونُظمت مظاهرات وخطابات تعبر عن رفض شعبي واسع للعدوان الإسرائيلي، فالتماسك في الحالة اليمنية اكتسب بعدًا إيمانيًا وعقائديًا جعل الخطاب المقاوم محورًا للتعبئة.

5. فلسطين: مثلما هو متوقع، أبدت الفصائل الفلسطينية دعمًا صريحًا لإيران، وتجسد التماسك المجتمعي في غزة والضفة من خلال المسيرات، وبالاستجابة للمناشدات التي قدمت من الاعلام الإيراني بضرورة تصوير مواقع وقوع الصواريخ الإيرانية بعد المنع والتعقيم الإعلامي الإسرائيلي تجاه مكان وشدة الضربات الإيرانية، والذي اسهم بشكل كبير في تعزيز النصر ونقل الصورة الحقيقية للمعركة المعتم عليها من قبل الكيان، فضلا عن مقاطع الفرح والسرور المجتمعي عند وصول الصواريخ الإيرانية لتدك الكيان الغاصب، وايضاً الخطاب الموحد، والتعاون الميداني مع الحلفاء في محور المقاومة، مما يشير إلى أن التهديد المشترك يعزز وحدة المواقف بين الشعوب.

ثالثًا: العوامل المعززة للتماسك المجتمعي

1. الهوية الجمعية المستندة إلى العداء لإسرائيل: يتقاسم جمهور محور المقاومة سرديّة عميقة العداء تجاه الكيان الإسرائيلي، مما يعزز من التلاحم عند كل مواجهة جديدة.

2. الخطاب الديني والتعبوي: تلعب قيادات المقاومة ومرجعياتها (مثل السيد علي الخامنئي، الشيخ نعيم قاسم، السيد عبد الملك الحوثي، وأبو علي العسكري) دورًا كبيرًا في توجيه الرأي العام وبث الشعور بالمسؤولية الجماعية.

3. الإعلام المقاوم: برزت قنوات مثل الميادين، المنار، المسيرة، العالم، الاتجاه، كرافعات للتماسك المجتمعي، من خلال التغطية المتزامنة والتركيز على الانتصارات المعنوية.
4. الروابط الثقافية والتاريخية: تجمع هذه الدول أبعادًا مشتركة في مواجهة الاستعمار والهيمنة الغربية، ما يجعل الحرب على إيران تُقرأ بوصفها استمرارًا لنفس الصراع.

رابعاً: المخاوف التي دعت الى التماسك المجتمعي في دول محور المقاومة

هناك مخاوف حقيقية دفعت شعوب محور المقاومة إلى زيادة التكتاف والتماسك المجتمعي خلال الحرب الإسرائيلية على إيران:

1. الخوف من تفكك الجبهة الداخلية: العدوان الخارجي يختبر قوة الجبهة الداخلية، وأي ضعف أو انقسام يمكن أن يُستغل لإضعاف موقف الدولة أو المقاومة، لذا، ساد اعتقاد شعبي أن التماسك المجتمعي هو "الدرع الأول" قبل الصواريخ.
2. الخوف من توسع الحرب إقليمياً: شعوب العراق، ولبنان، واليمن، تدرك أن الحرب على إيران قد لا تبقى محصورة في حدودها، بل ستطالها سياسياً وأمنياً وحتى عسكرياً، لذلك، تشكّل التكتاف سلوكاً دفاعياً استباقياً أمام خطر الحرب الشاملة.
3. الخوف من استهداف المقاومة في كل دولة: الحرب على إيران يُنظر إليها كخطوة أولى لضرب كل فصائل المقاومة، سواء حزب الله، أو الحشد الشعبي، أو أنصار الله، هذا الوعي دفع الشعوب لاعتبار الدفاع عن إيران هو دفاع عن الذات والهوية والكرامة الوطنية.
4. الخوف من تكرار سيناريوهات "الفوضى الخلاقة": الذاكرة الجماعية في دول محور المقاومة تحتفظ بمشاهد "الفوضى" التي رافقت الاحتلال الأمريكي للعراق، أو العدوان على سوريا، أو انهيار ليبيا، وهذا ما جعل الجماهير تخشى من أن الحرب قد تكون بوابة جديدة لإعادة إنتاج الفوضى الأمريكية. الإسرائيلية في المنطقة.
5. الخوف من فقدان الحلفاء الإقليميين: إيران تُعدّ العمق الاستراتيجي والراعي السياسي والعسكري والإعلامي لمحور المقاومة، أي ضربة قوية لها تُفقد هذه الشعوب "ظهرها وسندها" في المعركة الطويلة ضد الاحتلال والهيمنة.
6. الخوف من إعادة تمكين إسرائيل في المنطقة: تُفسّر هذه الحرب من قبل المجتمعات المقاومة بأنها محاولة لإعادة الهبة لإسرائيل بعد سلسلة إخفاقات في غزة وجنوب لبنان، ومن هنا، نشأ شعور جمعي بضرورة "المشاركة المعنوية والميدانية في إفشال هذا الهدف".
7. الخوف من التوظيف الطائفي والسياسي للحرب: بعض المخاوف شملت احتمال استغلال الحرب إعلامياً أو طائفيًا لتقسيم المجتمعات على أسس مذهبية، لذا، كان التماسك بمثابة رسالة وعي ورفض للفرقة، وتغليب للهوية السياسية والوطنية على الهويات الفرعية

رابعاً: دلالات التماسك المجتمعي في ميزان القوى

إن التماسك المجتمعي في دول محور المقاومة يُعد رسالة قوية موجهة للخصوم بأن الرد لا يقتصر على الجغرافية الإيرانية، بل يمتد إلى عمق شعبي وإقليمي متماسك، ويكشف هذا التماسك عن فشل الرهان على تفكيك المجتمعات العربية/الإسلامية من الداخل، كما يعكس تغيّراً في وعي الشعوب، وانتقالها من موقع المتفرج إلى الفاعل في معادلة الردع والمقاومة.

الخاتمة

إن الحرب الإسرائيلية على إيران لم تُفجّر شرخاً في محور المقاومة، بل أظهرت أن شعوبه تمتلك درجة عالية من التماسك المجتمعي، قادرة على الصمود والتأثير، ويمكن القول إن هذا التماسك يعكس نضجاً سياسياً وثقافياً يتجاوز الأطر القطرية، ويعيد رسم ملامح القوة في الإقليم، ويمنح محور المقاومة بعداً شعبياً عابراً للدولة.